

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدرس الثالث والعشرون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً نافعاً اللهم اغفر لنا، ولشيخنا أجمعين:

#### باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال - وهو كذلك - : (( لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، [أخرجه].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك).

[الشرح]: قال المصنف - رحمه الله - تعالى:-

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده هكذا صنع الشيخ هذه الترجمة وفيها وفاء لما وعد وأشار إليه في الباب قبله أن ثمة باين متعلقين بالباب السابق في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين فأراد أن يبين - رحمه الله - في هذا الباب الوسيلة المفضية إلى الغلو في الصالحين وهي عبادة قبر الرجل الصالح وأن هذا قد جاء التغليظ فيه فكيف بمن عبده!!

هكذا جعل الشيخ هذه الترجمة مختومة بسؤال تعجبي فكيف إذا عبده!! وذلك لتعظيم الأمر وتهويله

◊ استدل بما جاء في الصحيح ومراده بالصحيح ها هنا (صحيح البخاري)

عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة "أم سلمة" هي هند بنت أبي أمية المخزومي الذي كان يلقب بزاد الراكب وكانت أم سلمة زوج أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي من المهاجرين الأوائل هي وزوجها إلى الحبشة ثم بعد ذلك عادا وتوفي أبو سلمة رضي الله عنه وحزنت عليه حزنا عظيما فدخل عليها النبي ﷺ وقال لها ( ما من عبد تصيبه مصيبة فيسترجع - يعني يقول إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي واخلفني خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وخلف له خيرا منها ) فقالت ما دلها عليه النبي ﷺ وقالت في نفسها من عسى أن يكون خيرا من أبي سلمة؟ زوجها، وذلك لعظيم محبتها إياه، ولكن الله تعالى ساق إليها من كان خيرا منه وهو محمد بن عبد الله ﷺ فتزوجها وصارت من أمهات المؤمنين وجبر كسرهما وقد كانت وفاتها سنة اثنتين وستين للهجرة فحكى للنبي ﷺ صفة كنيسة رأتها بأرض الحبشة والكنيسة هي معبد النصراني.

وكان من ضلال النصراني الذي يبرأ منه المسيح عليه السلام تزويق كنائسهم بالصور والتماثيل وقد وصل دين النصراني إلى أرض الحبشة في وقت مبكر فإن بعض تلاميذ المسيح ذهب إلى مصر وانتقل أحدهم لعله برقص إلى بلاد الحبشة واعتنق النصرانية أهل تلك الديار ولحقها ما لحق دين المسيح من التحريف فكان من جملة التحريف أنهم يزوقون الكنائس بالتماثيل يصورون العذراء رضي الله عنها والمسيح عليه السلام وهو منصوب على خشبة الصلب ويصورون صور الملائكة وهذا معروف عندهم ، فإن من يدخل كنائسهم يدهش ويقلب طرفه في هذه الجدران المليئة بالصور والتزويق كأن هذا والله أعلم نوع من التعويض عن الخواء الروحي بوضع هذه المدهشات وهذه الملفات حتى يشعروا داخل الكنيسة بشيء من الروحانية زعموا، ولم يكن المسيح عليه السلام قد اتخذ كنيسة بل كان يصلي في معابد اليهود الذين بعث فيهم ولكن من جاءوا بعده صاروا يستقلون بالكنائس

فمن بدعهم في الكنائس هذه التصاوير فحكى للنبي ﷺ أنها رأت بأرض الحبشة وهي التي تسمى الآن أثيوبيا وما جاورها من البلدان كان يطلق عليها جميعا الحبشة أثيوبيا وأريتريا وما شابهها كلها كان يطلق عليها أرض الحبشة وما فيها من الصور

فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح الخطاب لها مؤنثة ويصح أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح لعل هذا الشك من الراوي وليس من التردد من النبي ﷺ

بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور إذا قاموا بخطوتين الخطوة الأولى أنهم يبنون على قبره مسجدا أي موضعا للصلاة

وصوروا فيه تلك الصور يعني زوقوا الجدران بتلك الصور

ثم قال أولئك شرار الخلق يعني المشار إليهم الذين فعلوا هذا الفعل وعظموا الصالحين أولئك شرار الخلق عند الله انتهى حديث أم سلمة

ثم أتبعه المصنف بقوله وهذا في الواقع ليس قولاً له بل هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

قال فهؤلاء جمعوا بين فتنين ما هما؟ فتنة القبور وفتنة التماثيل لأنهم بنوا على القبر أولاً وصوروه ثانياً فكان في هذا من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك

◆ إذا مناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة

إذ أن هذا الحديث يدل على أن البناء على القبور واتخاذ الصور يفضي إلى عبادتها ولهذا صاروا شرار الخلق ولا شك أن شرار الخلق هم الذين وقعوا في الشرك بالله - عز وجل -.

◆ ونستفيد من هذا:-

- الحديث المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين؛ لأن هذا من باب سد الذرائع و لأنه وسيلة إلى الوقوع في الشرك

- ونستفيد أيضاً الاعتبار بحال الأمم قبلنا

- ونستفيد أيضاً تحريم التصوير لما فيه من مضاهاة خلق الله عز وجل ولا سيما إذا كان للمعظمين من الصالحين وأمثالهم لأنه وسيلة إلى الشرك فصار التصوير يحرم من وجهين من جهة مضاهاة خلق الله ومن جهة كونه وسيلة إلى الوقوع في الشرك

- أيضاً نستفيد عظم هذه الجريمة وأن من ارتكبها فهو من شرار الخلق بشهادة من لا ينطق عن الهوى

\* طيب هل نستفيد من هذا الحديث جواز دخول الكنائس؟

لو قال قائل هذه أم سلمة قد دخلت كنيسة فيدل ذلك على جواز دخول الكنائس لا شك أن ظاهر الحديث يدل على ذلك ولكن هي قضية عين تحتاج إلى بيان وتفصيل:

(١) فإذا كان دخول المرء إلى كنيسة من باب الإعجاب بهم وإعزازهم فهذا لا يجوز مثل الذي يفعله بعض السفهاء الذين يقصدون الكنائس ويوزونها ويبدون إعجابهم بها وغير ذلك مع أنه يذكر فيها التلث والكفر، وبنوة المسيح، وتجدد الإله فيه زعموا، وتنتشر فيها الصور، وتعزف فيها المعازف، ويشرب فيها الخمر أيضا قد لا تعلمون هذا لأنهم يتخذون ما يسمونه بالعشاء الرباني هذا يقوم فيه الكاهن أو القس راعي الكنيسة إذا فرغ من موعظته أتى بكأس فيه خمر وكسر من الخبز ثم دعا جميع الحاضرين الذين حضروا القداس يعني المصلين فتقدموا صفا واحدا أمامه فكل من تقدم بين يديه نزل على ركبته على هيئة الخضوع ثم قام ثم غمس قطعة من الخبز في إناء في كأس الخمر وناولها إياها يفعل هذا بهم جميعا وهذا رأيتُه بعيني ثم يقول يعتقدون بهذا أنه قد اختلط بهم دم المسيح ولحم المسيح فالخبز يمثل لحم المسيح، والخمر يمثل دم المسيح هكذا يعتقدون وهذا من العقائد الباطلة والترهات السخيفة التي عليها النصارى إلى يومنا هذا

(٢) - الحالة الثانية أن يدخل الكنيسة لمصلحة إما لدعوتهم وإما لكشف عوارهم ونقض حالهم فهذا لا بأس به ولعل دخول أم سلمة من هذا الباب ولو لم يكن في دخولها فائدة إلا حصول هذا الحديث لكفى فإذا دخل الكنيسة للدعوة فهذا أمر مشروع؛ فقد كان نبينا ﷺ يأتي يهود في يوم كنيسهم في يوم مدراسهم ويدعوهم إلى الإسلام،

فقد روى الحاكم في مستدركه والطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث عوف بن مالك أن النبي ﷺ أتى يهود في كنيسهم فقال يا معشر يهود أروني اثني عشر رجلا منكم يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله يرفع الله بها اللعنة والغضب التي غضبها على كل يهودي تحت أديم السماء عرض فرصة نادرة لليهود لو كانوا يفقهون قال أبرزوا لي فقط اثني عشر يشهدوا هذه الشهادة الحق فترفع عنكم اللعنة والغضب فلم يجبه أحد، فأعاد فلم يجبه أحد، فأعاد فلم يجبه أحد فإني رسول الله حقا وإني أنا الحاشر وأنا العاقب أمتم بي أو كذبتم ثم خرج وللحديث قصة وبقية فالمقصود أنه لا بأس بغشيانهم في كنيسهم لغرض صحيح كالعودة إلى الله أو كذلك للإطلاع على حالهم بغرض نقدهم وكشف عوارهم فإذا كان الغرض صحيحا فلا بأس، أما ما يفعله وللأسف بعض السفهاء حينما يذهبون للسياحة في بلاد الشام أو بلاد الغرب ثم يذهبون لكنائسهم فيحصل لهؤلاء النصارى نوع من الاعتزاز ويأخذون في شرح دينهم وقد يكون فتنة لبعض من دخلها فهذا لا يجوز

◆ ثم قال المصنف - رحمه الله - -: "ولهما" أي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لما نزل برسول الله ﷺ "نزل" هكذا بصيغة الفعل الذي لم يسمى فاعله يعني نزل به ملك الموت ما نزل برسول الله ﷺ يعني في حال الاحتضار

طفق أي جعل يطرح

خميصة له على وجهه "الخميصة" هي كساء له أعلام يعني ثوب أو قماش مخطط فكان نبينا ﷺ يعاني في سكرات الموت كربا وعناء شديدين فجعل يطرح الخميصة على وجهه الشريف لشد ما يجد من التألم

فإذا اغتم بها يعني انحبس نفسه كشفها ليتنفس ﷺ

كشفها وألقاها عن وجهه الشريف

فقال وهو كذلك ما ترون أن آدمي بشرا في مثل هذه الحالة من الكرب العصيب ممكن أن يقول؟ لولا أنه رسول الله ﷺ الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم لشدة نصحه وشفقته على أمته صار أعظم ما يشغل باله هو أمر هذه الأمة فكان يقول وهو على تلك الحال

لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، "و اللعن" هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله

"اليهود والنصارى" هم أهل الكتاب واليهود سموا يهودا في أصح الأقوال نسبة إلى أحد الأسباب وهو يهوذا ابن يعقوب عليه السلام يعني يهودا بن إسرائيل فنسبوا إليه، وقيل إنهم ثم يهودا من التهود وهو التوبة، وقيل من الهوادة وهي المحبة، وقيل من قولهم إنا هدنا إليك هذه أقوال في سبب تسمية اليهود،

وأما النصارى فقليل أن سبب تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى بلدة الناصرة التي كان ينزلها المسيح عليه السلام، وقيل نسبة إلى تناصرهم فيما بينهم، وقيل نسبة إلى قولهم نحن أنصار الله قيلت جميع هذه الأقوال المهم أن اليهود صار علما على المنتسبين إلى موسى عليه السلام المعتقدين بالتوراة، والنصارى صار علما على الملة المنتسبة إلى عيسى عليه السلام المعتقدين بالإنجيل

وقد بينا لكم في غير ما مناسبة أن اليهودية والنصرانية ليستا ديانتين سماويتين بل هما محرقتان عن أصل سماوي فإن دين الله واحد وهو الإسلام هو الذي بعث الله به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع أنبياء الله (إن الدين عند الله الإسلام) لكن لما طرأ التحريف على دين موسى صارت تلك الملة تسمى اليهودية، ولما طرأ التحريف على دين عيسى صارت تلك الملة تسمى النصرانية ولهذا برأ الله إبراهيم منها فقال: { ما كان إبراهيم

يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما { فيُخطأ من يقول الأديان السماوية لأن الدين واحد ليس لله عدة أديان سماوية، الدين السماوي الوحيد هو الإسلام فقط، وأما اليهودية هو ما آل إليه دين موسى بعد التحريف، وأما النصرانية فهي ما آل إليه دين عيسى عليه السلام بعد التحريف ينبغي أن يكون هذا واضحا، المهم أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى لعنة الله على اليهود والنصارى وعلل هذه اللعنة بقوله:

اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد أي أن سبب لعنهم هو وقوعهم في الشرك وتحويلهم قبور أنبياءهم إلى مواضع للعبادة والسجود اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد سواء بنوا عليها بنيان أم لم يبنوا فإن موضع السجود يسمى مسجدا سواء بني عليه جدران وقبة وسقف أو كان موضع مقصود للسجود عندهم وهذا يدلنا على عظيم شفقة النبي ﷺ ونصحته لأمته لأنه لما شعر ﷺ بأنه في السياق وقد دنا أجله خشي أن تصنع به أمتة ما صنعت اليهود والنصارى بأنبيائها فألقى إليهم بهذه الجملة تحذيرا حتى لا يقعوا في ما وقع فيه من كان قبلهم لهذا قالت عائشة رضي الله عنها وهذا من فقهها:

يحذر ما صنعوا يعني أنه ما قال ذلك في هذا المقال إلا للتحذير مما صنع اليهود والنصارى

ولولا ذلك لأبرز قبره يعني لأخرج من حجرته الشريفة ووضع في البقيع لكنه لم يفعل ذلك لماذا؟ خشية من أن يتخذ مسجدا فدفن النبي ﷺ في بيته في حجرة عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره يعني لأخرج ولكن لم يفعل ذلك فمعنى ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم الذين باشروا دفنه دفنوه في حجرته ولم يبرزوه إلى الفضاء كالبقيع أو غيره خشية أن يتخذ مسجدا وكلاهما محمل صحيح إذا سبب دفن النبي ﷺ في حجرته هو خشية أن يتخذ قبره مسجدا فإذا كان في حجرته لم يكن لأحد أن يدخل عليه لأنه حرز وخصوصية بخلاف لو كان في العراء أو في مكان عام، وهناك سبب آخر لدفن النبي ﷺ في حجرته لا يتعارض مع السبب الأول وهو ما حدث به أبو بكر رضي الله عنه لما اختلفوا في موضع دفنه فأخبر أنه سمع من النبي ﷺ أن الأنبياء يدفنون حيث ماتوا، قالوا أخرجاه وهذا لعله سبق قلم أليس كذلك لأنه قد قال في مقدمة هذا الحديث ولهما أي للبخاري ومسلم فأغنى ذلك عن أن يقول في آخره أخرجاه لكن لعل الشيخ صار عنده نوع من الانتقال الذهني والذهول ففسي أنه قدم بقوله لهما

◊ إذا مناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة

وذلك أن النبي ﷺ منع من إبراز قبره خشية أن يتخذ مسجداً لعبادة الله عند قبر الرجل الصالح أو النبي من أسباب الشرك

### ◆ فستفيد منه ما استفدنا مما سبق:

- المنع من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد

- ونستفيد من كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم

- ونستفيد فائدة عقدية مهمة وهي جواز لعن اليهود والنصارى ولكن لعنهم من حيث الحملة لا لعن معين منهم

وهذا أمر وللأسف بات بعض المتحذلقين من الصحفيين وغيرهم يعني ينكره ويستهجنه ويقول هذه ثقافة الكراهية وغير ذلك سبحانه الله لا أدري على من يعترض أيعترض على كلام الله الذي يقول: { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم } ، أم يعترض على كلام النبي ﷺ الذي يقول (( لعنة الله على اليهود والنصارى )) كيف يأتي ويقول هذا لا يجوز هذا لا يليق هذا من نشر ثقافة الكراهية المؤمن يجب في الله ويبغض في الله هذا أمر لا نخفيه بل إن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ونحن لا نبغضهم ولا نلعنهم لذواتهم وأشخاصهم بل لما تلبسوا به من الكفر ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أنهم رضوا بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً لكانوا إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا نحبهم كما نحب أنفسنا فإننا أبغضناهم في الله عز وجل فهذا أمر ينبغي التنبه له والحذر من الانسياق خلف هذه العبارات الحادثة الطارئة وعلينا أن نلزم السنة

- ثم مما نستفيدة من هذا الحديث الحكمة من دفن النبي ﷺ في حجرته ما هي؟ حتى لا يتخذ قبره مسجداً

- ونستفيد أيضاً أيها الأخوة بشرية النبي ﷺ؛ أنه بشر يلحقه ما يلحق البشر فهو بأبي هو وأمي ﷺ يلحقه من سكرات الموت ومعاناة الاحتضار ما قد سمعتم يطرح خميصة على وجهه الشريف فإذا اغتم بها كشفها بل قد جاء في الحديث أنه قال إن للموت لسكرات وقد يشكل هذا عند بعض الناس ويقول أليس نفس المؤمن وروحه تسل كما تسل الشعرة من فم السقاء فكيف إذا يقع هذا؟ فيقال لا تعارض فإن هذه السكرات التي تلحق الآدمي عند الموت إن كان مؤمناً تكون كفارة لسيئاته ورفعة لدرجاته، وأما حال قبض الروح فهو الذي يحصل به الوصف المذكور فإن كان مسلماً نشط روحه نشطاً كما تسل الشعرة من فم السقاء، وإن كان كافراً نزع روحه نزعاً كما تنزع السفود من الصوف المبلول كما قال تعالى: والنازعات غرقا، والناشطات نشطا.

### ◆ ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس

تحتمل خمس ليالٍ وتحتمل خمس سنين وهل تحتمل أشهر؟ لماذا؟ لأنها لو كانت أشهر لقليل بخمسة فهي تحتمل أن تكون لغة خمس ليالٍ أو خمس سنين، والأقرب والله أعلم أنها خمس ليالٍ لماذا؟ لأنه لم يكن من عادة المتحدث أن يحدث بشيء قبل خمس سنين ويقول قبل أن يموت بخمس في مثل هذا السياق فالأقرب والله أعلم أن ذلك قبل أن يموت بخمس ليالٍ

وهو يقول إني أبرأ إلى الله "أبرأ" يعني أمتنع وأنكر وأتصل أبرأ إلى الله

أن يكون لي منكم خليل "الخليل" مشتق من الخلة والخلة هي أعلى درجات المحبة ولهذا قال القائل: قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا لأنها تتخلل القلب وتتمكن منه ولا حاجة إلى التعريف بالصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله فيكفيه شرفا وتعريفا هذه الجمل .

ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا إذا ما الذي منع النبي ﷺ أن يتخذ أبا بكر خليلا مع شدة محبته له؟ هو أن الله قد اتخذه خليلا فما دام أن الله قد اتخذه خليلا فلا يليق إذا أن يجعل مع الله غيره لأن الخلة هي أعلى درجات المحبة فلا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى

( ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياءهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد) ألا أداة تنبيه

فإني أنهاكم عن ذلك كيف يتخذون القبور مساجد إما بالبناء عليها أو حتى بمجرد الصلاة عندها فإن ذلك كله يعد اتخاذا فهذا الحديث العظيم مناسبتة ظاهرة فإن فيه نهي عن اتخاذا القبور مساجد ومعابد كما يفعل اليهود والنصارى

### ◆ فاستفدنا من الحديث ما استفدنا من سابقه:-

- من النهي عن اتخاذا القبور مساجد

- واستفدنا أيضا سد كل طريق يفضي إلى الشرك

- واستفدنا أيضا إثبات صفة الخلة لله سبحانه وتعالى فالله تعالى يحب ويحب ويخالل ويخالل سبحانه ويحمده



- واستفدنا أيضا فضل الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلا شك أنها أفضل البشر ونبينا ﷺ أفضل من إبراهيم، وإبراهيم عليه السلام يأتي في الدرجة الثانية من مراتب أولي العزم من الرسل
- ونستفيد أيضا فضل أبي بكر الصديق إذ كان مؤهلا لولا أن الله سبحانه وتعالى اتخذ نبيه ﷺ خليلا
- وأيضا استدل به بعض أهل العلم على إثبات خلافة أبا بكر الصديق وذلك أن خلافة أبا بكر الصديق رضي الله عنه اختلف أهل السنة هل كانت بالنص الجلي أم بالنص الخفي والإيحاء والإشارة أم كانت بالبيعة؟ فذهب ابن حزم وغيره إلى أن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت بالنص الجلي، وذهب غيره إلى أنها كانت بالنص الخفي والإيحاء والإشارة كما في هذا الحديث وبانعقاد البيعة على ذلك وهذا الثاني أقرب لأن النص الجلي هو أن يقول النبي ﷺ صراحة الخليفة بعدي أبو بكر ولكن قد قال النبي ﷺ أقوال متعددة كلها تشير وتومئ بإشارة واضحة إلى استخلاف أبي بكر ثم ثبت ذلك ببيعة المسلمين له رضي الله عنه

عقب الشيخ بكلام نقله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ولم يسنده هاهنا وهذه طريقة لبعض السلف المتقدمين أنهم ينقلون العلم ولا يعزونه أحيانا ينقلونه عن قائله وقد رأيت كلاما مثلا للبيهقي - رحمه الله - ينقل فيه أسطر طويلة من كلام الخطابي ولا يعزوه وكأن هذا عندهم وإن كان هذا في لغة العصر يعد منافيا للتوثيق العلمي لكنهم كأنما يعدون أن العلم رحم بين أهله وأنه لا يلزم أن يقال قال فلان فكأن عندهم في الأمر سعة فيها هنا يقول الشيخ - رحمه الله -

فقد نهى عنه يعني عن ماذا؟ عن اتخاذ قبره مسجدا وعبادة الله تعالى عنده

فقد نهى عنه وهو في آخر حياته أين ذلك؟ في حديث جندب رضي الله عنه لأنه قبل أن يموت بخمس، ثم إنه لعن وهو في السياق من ذلك أين ذلك؟ في حديث عائشة رضي الله عنها والصلاة عندها من ذلك الصلاة عند القبور من ذلك لأن من هذا من اتخاذها مسجدا قال والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبنى مسجدا وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجدا فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا ولكن بقي احتمال ماذا؟ أن يصلى عنده فدل هذا على منع صورتين وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا ما الدليل؟ كما قال ﷺ "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" فكل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا إن لم يبنى عليه بناء ولكن المسجد الذي تتعلق به الأحكام الفقهية من كونه أرضا وقفية وعدم جواز إنشاد الضالة، وعدم إقامة

الحدود هو المسجد الذي قصد لهذا الغرض وأوقف لهذا الغرض إذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بمثابة التوضيح لما تقدم

◊ ثم قال ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً (( إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم

أحياء والذين يتخذون القبور مساجد )) [رواه أبو حاتم في صحيحه]

يعني ورواه أبو حاتم في صحيحه إذا قد روى هذا الحديث الإمام أحمد - رحمه الله - وقال إنه بسند جيد ورواه أبو حاتم في صحيحه

"إن من شرار الناس" من هذه تبيضية إن من شرار الناس يعني أشرفهم بمعنى أفعال التفضيل

من تدركهم الساعة وهم أحياء يعني الذين تقوم عليهم الساعة وهم أحياء هؤلاء من شرار الناس وقد جاء ذلك في أحاديث صحيحة في البخاري وغيره ووصفهم النبي ﷺ بأنهم ينزرو بعضهم على بعض ويتهارجون تهارج الحمر حتى لا يقال في الأرض الله الله فعلى هذا تقوم عليهم الساعة على هؤلاء تقوم الساعة إذن أين المؤمنون؟ المؤمنون كانوا قد قبضوا بالريح الطيبة التي يرسلها الله تعالى بين يدي الساعة في آخر الزمان تهب ريح طيبة فتقبض أرواح المؤمنين لا تدع نفس مؤمن إلا استلتها من خياشيمه ريحها أطيب من ريح المسك ومسها ألين من مس الحرير فلا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الخلق قوم لا يقولون الله الله يتهارجون تهارج الحمر هذا صنف .

الصنف الثاني و الذين يتخذون القبور مساجد هذا صنف، الصنف الثاني إذا هم بمنزلة سواء مع الصنف الأول ذلك لعظيم جرمهم إذ أن فعلهم هذا مفض للشرك فمناسبتة للباب ظاهرة لما في ذلك من النهي عن اتخاذ القبور مساجد ومن الفوائد التحذير من الصلاة عند قبور الصالحين، ودل أيضا على أن من فعل ذلك فهو من شرار الأرض، ودل الحديث على أن الساعة لا تقوم على مؤمن وإنما تقوم على شرار الخلق

◊ فلنستمع إلى مسائل الباب ...

فيه مسائل:

- الأولى: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه على قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

[الشرح]: وقد ذكر النبي ﷺ فيه قولاً عظيماً كما في حديث أم سلمة قال أولئك شرار الخلق

- الثانية: النهي عن التماثيل، وتغلظ الأمر .

[ الشرح ]: ذلك لأن القوم صوروا صوراً وتماثيل لهؤلاء الصالحين فغلظ النبي ﷺ ذلك ولعنهم و وصفهم بأنهم شرار الخلق

- الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزاع لم يكتف بما تقدم.

[ الشرح ]: يعني أن هذا حصل على عدة مراحل فحديث عائشة الأولى التي قصت فيه أم سلمة ما رأت بين فيه وذلك في أثناء حياته ثم في حديث جندب بن عبد الله قبل أن يموت بخمس ثم في سياق الموت من حديث عائشة لعن اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبياءهم مساجد مما يدل على تغليظ النبي ﷺ وتحذيره البليغ من الوقوع في ذلك .

- الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

[ الشرح ]: نهى النبي ﷺ عن ذلك بصريح العبارة قال ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك بهذه العبارة الصريحة.

- الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

نعم قد نص النبي ﷺ على ذلك فقال لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد فإذا كان هذا من سننهم فنحن مأمورون باجتناّب سبيلهم

- السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

[ الشرح ]: نعم وقد تقدم

- السابعة: أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره.

[ الشرح ]: هذا مراده وهذا ما فهمته عائشة رضي الله عنها لقولها يحذر ما فعلوا

- الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

[ الشرح ]: خشي أن يتخذ مسجدا هذه هي العلة

-التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً.

[ الشرح ]: أي بأن يصلي عندها ليس فقط بأن يبني عليها مسجد وإنما بأن يصلي عندها فهذا من اتخاذها مسجدا

-العاشر: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

[ الشرح ]: يعني كأن الشيخ وهذا من عميق استنباطه ربط بين هذين الصنفين من شرار الخلق فكأن اتخاذ القبور مساجد يفضي إلى أن تقوم الساعة على من كان على شاكلتهم فأول الأمر الشرك ثم يؤول بعد ذلك إلى تعطيل الرب سبحانه وتعالى حتى لا يعرف ولا بالاسم

- الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما أشرك أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

[ الشرح ]: هاتان الطائفتان لا شك أنهما من أضل الطوائف، وكما قال الشيخ - رحمه الله - أن بعض من صنف في الفرق أخرجهما من الثنتين والسبعين فرقة، وغلط شرك الرافضة أنهم وقعوا في الشرك العملي الذي هو عبادة غير الله فلذلك هم يدعون عليا، ويدعون الحسين ويدعون أهل البيت ينادونهم من دون الله دعاء صريحا، وأما الجهمية فوقعوا في الكفر العلمي حيث عطلوا صفات الرب سبحانه وبحمده فنفوا أن يكون متصف بأي صفة ثبوتية وهذا يفضي إلى إنكار الله عز وجل بالكلية فهاتان الطائفتان من أشد أهل البدع ضلالة

-الثانية عشرة: ما بلي به ﷺ من شدة النزاع.

[ الشرح ]: وذلك لرفع درجاته ﷺ

-الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلّة.

[ الشرح ]: نعم هذه كرامة عظيمة أن اتخذها الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا

-الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

[ الشرح ]: وذلك لأنه لا يمكن فيها المشاركة والمحبة يمكن أن يقع فيها المشاركة لكن الخلة أعلى المحبة فلذلك أخلصت للرب سبحانه وتعالى

-الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

[ الشرح ]: هذا واضح من كلامه ﷺ لقوله لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً فلا ريب أن هذا الكلام يدل على فضل أبا بكر على سائر الأمة بما فيهم سائر الصحابة

-السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته

[ الشرح ]: في هذا إشارة كما عبر الشيخ فهذا من باب النص الخفي والإشارة والإيحاء إلى استحقاقه رضي الله عنه للخلافة بعد النبي ﷺ. والله أعلم؛